

تفسير البحر المحيط

@ 215 @ القلب ، وذهب بعض السلف إلى أن قوله { وَأَخْفَى } هو فعل ماض لا أفعل تفضيل

أي { يَعْلَمُ } أسرار العباد { وَأَخْفَى } عنهم ما يعلمه هو كقوله { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ } وقوله { وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } . قال ابن عطية : وهو ضعيف . .

وقال الزمخشري : وليس بذلك قال : فإن قلت : كيف طابق الجزاء الشرط ؟ قلت : معناه إن تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غني عن جهرك فيما أن يكون نهياً عن الجهر كقوله { وَإِذْ كُورٌ بِبَيْتِكَ فِي زَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُؤُنَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ } وإما تعليماً للعباد أن الجهر ليس لإسماع الله وإنما هو لغرض آخر انتهى . . والجلالة مبتدأ و { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } الخبر و { لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } خبر ثان ، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من ذا الذي يعلم السر وأخفى ؟ فقيل : هو { اللَّاهُ } و { الْحُسْنَى } تأنيث الأحسن وصفة المؤنثة المفردة تجري على جمع التكسير ، وحسن ذلك كونها وقعت فاصلة والأحسية كونها تضمنت المعاني التي هي في غاية الحسن من التقديس والتعظيم والربوبية ، والأفعال التي لا يمكن صدورها إلا منه ، وذكروا أن هذه { الْأَسْمَاءُ } هي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) . وذكرها الترمذي مسندة . .

{ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ * نَارًا }
فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَمْ كُنتُمْ إِذْ نَبِّئْتُمْ أَنَّ نَارًا لِلَّهِ لِيَأْخُذَ بِرَبِّهَا بِرَبِّهَا بِرَبِّهَا
أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِأَمْرٍ * إِذْ رَأَى
أَن نَّارًا رِبُّكَ فَآخِلَعٌ زَعَلَيْكَ إِذْ نَزَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَن نَّارًا
اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّ نَزَّكَ أَن نَّارًا لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَن نَّارًا
فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ
أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّهَا
يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى * وَمَا تَلَكَ بِبَيْتِكَ بِأَمْرٍ *
قَالَ هِيَ عَصَى أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ
فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى * قَالَ أَلْقَاهَا بِأَمْرٍ * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ
حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى *
وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بِهِ ضَاءً مِّنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَى

* لِنُذِرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {

. .

ولما ذكر تعالى تعظيم كتابه وتضمن تعظيم رسوله أتبعه بقصة موسى ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد ، كما قال تعالى { وَكَأَلَّا نَسْقُصُ عِلَلِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ } فقال تعالى : { وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى } وهذا استفهام تقرير يحث على الإصغاء لما يلقي إليه

وعلى التأسى . وقيل : { هَلْ } بمعنى قد أي قد { أَتَاكَ } ، والظاهر خلاف هذا لأن السورة مكية . والظاهر أنه لم يكن أطلعه على قصة موسى قبل هذا . وقيل : إنه استفهام معناه النفي أي ما أخبرناك قبل هذه السورة بقصة موسى ، ونحن الآن قاصون قصته لتتسلى وتتأسى وكان من حديثه أنه عليه السلام لما قضى أكمل الأجلين استأذن شعيباً في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته فأذن له ، وقد طالت مدة جنايته بمصر ورجا خفاء أمره ، فخرج بأهله وماله وكان في فصل الشتاء وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام ، وامرأته حامل فلا يدري أليلاً تضع أم نهاراً ، فسار في البرية لا يعرف طرقها ، فألجأ المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد ، وأخذ امرأته الطلق ففدح زنده فلم يور . قيل : كان رجلاً غيوراً يصحب الرفقة ليلاً ويفارقهم نهار لئلا ترى امرأته ، فأضل الطريق . .

قال وهب : ولد له ابن في الطريق ولما صلد زنده { رَأَى نَاراً } . والظاهر أن { إِذْ } ظرف للحديث لأنه حدث . وأجاز الزمخشري أن تكون ظرفاً لمضمراً أي { نَاراً } كان كيت وكيت ، وأن تكون مفعولاً لأذكر { امْكُتُّوا } أي أقيموا في مكانكم ، وخاطب امرأته وولديه والخادم . وقرأ الأعمش وطلحة وحمزة ونافع في رواية { لَاهِلِهِ امْكُتُّوا } بضم الهاء وكذا في القصص والجمهور بكسرها { إِذْ نَبَى آتَسَّتْ } أي أحسست ، والنار على بعد لا تحس إلا بالبصر فلذلك فسره بعضهم برأيت ، والإيناس أعم من الرؤية لأنك تقول